

تجارة الصالحين

(الإحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات)



جمع وإعداد / طلاب العلم

تصميم



00201019530152



بسم الله الرحمن الرحيم

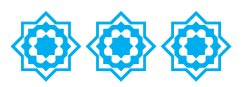
مُقَدِّمَة

الحمدُ لله رب العالمين الملك الحق المبين أشهد أن لا إله إلا هو ولي الصالحين وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ :٤٧].

لا بُد للمسلم من أن يحمس نفسه لفعل الخيرات وهو ينتظر من الله الأجر والمثوبات ولذلك فإن احتساب الأجر عبادة عظيمة تدفع للعمل، وهي تجارة يغفل عنها الكثيرون، فرُبَ عملٍ صالحٍ يسير يجلب لك من الأجر والثواب ما لم يخطر على بالك، ورُبَ أعمالٍ صالحة كثيرة لكنها تجلب لك أجراً يسيرا، نعم أخي الكريم فإن احتساب النية لتجارة عظيمة اغتنمها الصالحون حتى أصبحت عاداتهم عبادات ونالوا بها أعلى المراتب، وخيرُ مثال هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لذلك ها أنا ذا أضع بين أيديكم مقتطفات من أقوال الصالحين
لتكونوا تُجاراً في النوايا وتذوقوا طعم الحياة..



﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

ومن عظيم عدل الله تعالى أن لا يساوي بين المستحقين للجنة في الدرجة والنعيم؛ فالتفاضل بين الناس في الدنيا في الإيمان والطاعات يؤدي إلى التفاضل في المنازل والدرجات عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وأن الله قد وعد الطائعين بمنازل في الجنة إن هم قاموا بما حثَّهم عليه من تلك الطاعات، وما ذلك التفاضل بين أهل الجنة في المنازل والدرجات إلا بسبب تفاضلهم في أعمال الطاعات في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا[١].

---

(١) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان «جزء١-ص٣٩»

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام:١٣٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والجنَّة درجات، متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات: بحسب إيمانهم، وتقواهم[١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»[٢].

وفي رواية: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»[٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو، والصفة، بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى

---

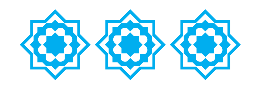
(١) (مجموع فتاوى ١١/ ١٨٨)

(٢) رواه البخاري (٣٠٨٣) ومسلم (٢٨٣١)

(٣) رواه الترمذي (٣٦٥٨)، وحسَّنه، وابن ماجه (٩٦)، من حديث أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

من بعض، وأرفع.

وقوله «**الغائر من المشرق أو المغرب**» يروى بالياء اسم فاعل، من غار، وروي «**الغابر**» بالباء بواحدة، ومعناه الذاهب، أو الباقي، **ويعني به**: أن الكوكب حالة طلوعه، وغروبه بعيد عن الأبصار، فيظهر صغيراً لبعده، وقد بيَّنه بقوله «**من المشرق أو المغرب**» وقد روي العازب بالعين المهملة والزاي، **أي**: البعيد، ومعانيها كلها متقاربة المعنى.[١]



(١) التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة « (ص ٣٩٨)

التجارة مع الله

أخبر سبحانه على أن التجارة مع الله جَلَّ وَعَلَا حينما يريد بها المؤمن رضا الله، أنها تجارةٌ رابحة، وأن عاقبتها إلى خير.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه يجب علينا أن نهتم بأنفسنا وأن نحاسبها، وإذا كان التجار لاينامون حتى يراجعوا دفاتر تجارتهم، ماذا صرفوا وماذا أنفقوا وماذا كسبوا؟، فإن تجار الآخرة ينبغي أن يكونوا أشد اهتماما لأن تجارتهم أعظم، تجارة أهل الدنيا ماذا تفيدهم؟غاية ما تفيدهم؟ إن أفادتهم هو إتراف البدن فقط، على أن هذه التجارة يلحقها من الهم والغم وإذا خسر في سلعة إهتم لذلك وإذا كان في بلده مخاوف قطاع طريق أو سرّاق صار أشد قلقـًا.

لكن تجارة الآخرة على عكس من هذا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ

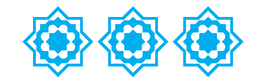
أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١٠- ١٢]، تنجي من العذاب ويغفر له بها الذنوب ويدخل بها الجنات، جنات عدن يعني جنات إقامة، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾ [الصف:١٢].

مساكن طيبة في بنايتها وفي مادة البناء، أتظنون أن مواد بناء الجنة من إسمنت وحصى؟ لا! كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما**».

والله يبقى الإنسان في سجدة منذ بلغ إلى أن يموت لكان هذا ثمنًا قليلاً بالنسبة إلى هذه الغنيمة العظيمة، ولو لم يكن إلا أن ينجو الإنسان من النار لكفى.

أحيانًا الإنسان يفكر يقول ليتني لم أولد أو يكفي أن ننجو من النار، وها هو عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «ليتني شجرة تعضد، ليت أمي لم تلدني».

الإنسان يخاف! يظن أنه آمن الآن لأنه يصلي ويصوم ويتصدق ويحج ويبر الوالدين. وما أشبه ذلك لكن قد يكون في قلبه- نسأل الله السلامة والعافية- حسيكة تؤدي إلى سوء الخاتمة-والعياذ بالله-[١].



(١) «تفسير سورة الشرح لابن عثيمين ٢٥٠-٢٥١»

﴿ النية ﴾

إن الإحتساب عمل قلبي، لا محل له في اللسان، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بأن النية محلها القلب.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «النية» محلها القلب، ولا محل لها في اللسان في جميع الأعمال؛ ولهذا كان من نطق بالنية عند إرادة الصلاة، أو الصوم، أو الحج، أو الوضوء، أو غير ذلك من الأعمال كان مبتدعاً قائلاً في دين الله ما ليس منه؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتوضأ، ويصلي ويتصدق، ويصوم ويحج، ولم يكن ينطق بالنية، فلم يكن يقول: اللهم إني نويت أن أتوضأ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق ، اللهم إني نويت أن أصوم، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا؛ وذلك لأن النية محلها القلب، والله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما في القلب، ولا يخفي عليه شيء؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

ويجب على الإنسان أن يخلص النية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **في جميع عباداته،** وأن لا ينوى بعباداته إلا وجه الله والدار الآخرة. وهذا

هو الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [البينة:٥]، أي مخلصين له العمل، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، وينبغي أن يستحضر النية، أي: نية الإخلاص في جميع العبادات. فينوى مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ إمتثالاً لأمر الله. **فهذه ثلاثة أشياء:**

١- نية العبادة.

٢- ونية أن تكون لله.

٣- ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله. فهذا أكمل شيء في النية[١].

والعمل لابد فيه من النية... فالذي يحتسب وينوي بعمله وجه الله فهو لله، والذي ينوي بعمله الدنيا فهو للدنيا فالأمر خطير جداً.. جداً.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنيات تختلف اختلافاً عظيماً وتتباين تبايناً بعيداً كما بين السماء والأرض، من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته في القمامة في أخس شيء وأدنى شيء. فإن نويت الله والدار الآخرة في أعمالك الشرعية

(١) شرح رياض الصالحين ١٤

حصل لك ذلك، وإن نويت الدنيا فقد تحصل وقد لا تحصل.

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨].

ما قال عجلنا له ما يريد!! بل قال ما نشاء - أي لا ما يشاء هو - لمن نريد - لا لكل إنسان - فقيد المعجِّل والمعجَّل له.

إذا من الناس من يعطى ما يريد من الدنيا ومنه من يعطى شيئا منه ومنهم من لا يعطى شيئا أبدا. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء:١٩]. لابد أن يجني هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة[1].

النية أمرها عظيم، وهي روح الأعمال، وبها صلاح الأعمال، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ج١/ ص٣

(٢) «رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)»

والنية تحّول المباحات إلى طاعات وقربات، فلهذا ينبغي العناية والإهتمام بها، وجعلها لله تعالى، خالصة من شوائب الرياء والسمعة .

واعلم أن النية نوعان:

النوع الأول: نية مفروضة، ولا تصح العبادة إلا بها:

كالنية في الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذه النية لا يكاد يغفل عنها أحد، فإذا توضأ الإنسان ليصلي أو ليمس المصحف أو ليكون طاهرا، فقد أتى بالنية. فقصد الصلاة، أو قصد رفع الحدث، هذا هو النية في الوضوء .

وإذا قام المرء للصلاة، وهو يعلم أنها صلاة الظهر مثلا، فقصدَ أن يصليها وأقبل عليها، فقد أتى بالنية، ولا يجب – بل ولا يشرع – أن يقول بلسانه نويت أن أصلي صلاة الظهر حاضرة ... إلخ، كما يفعله بعض الناس، فإن هذا لم يرد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل النية محلها القلب.

وهكذا إذا عزم الإنسان من الليل على أنه سيصوم غدا، فقد نوى الصوم، بل تناوله طعام السحور، يدل على قصده الصوم وإرادته له .
فالنية بهذا المعنى يصعب أن ينساها الإنسان.

❁ النوع الثاني: نية مستحبة، لتحصيل الأجر والثواب:

وهذه التي يغفل عنها بعض الناس، وهي استحضار النية في المباحات، لتكون طاعاتٍ وقربات، كأن يأكل ويشرب وينام بنية التقوي على الطاعة، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»(١).

وقال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»(٢).

فكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يحتسب الأجر في النوم**، كما يحتسبه في قيام الليل، لأنه أراد بالنوم التقوّي على العبادة والطاعة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتح**: «ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب» انتهى.

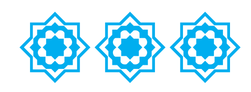
والذي يعين على استحضار هذه النية: التأني والتدبر وعدم العجلة، فيفكر الإنسان فيما يأتي ويذر، ويحاسب نفسه قبل العمل،

---

(١) رواه البخاري (٥٦)

(٢) رواه البخاري (٤٠٨٨)

فينظر هل هو حلال أو حرام، ثم ينظر في نيته: ماذا أراد بذلك؟ فكلما حاسب نفسه، وعودها النظر قبل العمل، كلما كان ذلك أدعى لتذكره أمر النية، حتى يصير ذلك ملكةً له، وعادة يعتادها، فلا يخرج ولا يدخل، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يعطي ولا يمنع، إلا وله نية في ذلك، وبهذا تتحول عامة أوقاته إلى أوقات عبادة وقربة. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك لذلك.



مجاهدة النفس

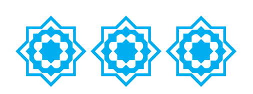
لأن الأصل في النفس التي بين جنبي العبد أيها الأفاضل أنها أمارة بالسوء، مُحبة للكسل، محتاجة دائما إلى معاهدة وتوجيه، لذا لا بد على صاحبها أن يجاهدها باستمرار ليروضها على طاعة العزيز الغفار، ويُجنبها معصية الكبير الجبار، وهذا هو الجهاد الذي لا غنى للعبد عنه في كل وقت وحين إذا أراد أن ينال الأجر و رضا أرحم الراحمين بإذن رب العالمين فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

قال ابن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات، أمارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٥٤٩).

على المقدور، فالمجاهد حقيقة :من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولاً، ومجاهدة النفس تكون أن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين، على فعل الطاعات وعلى ترك المعاصي. وذلك لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، فتحتاج النفس إلى مجاهدة لاسيما مع قلة الرغبة في الخير، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة ليحملها على فعل الخير»[٢].



(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢١)
(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥١)

معنى الإحتساب

يجيبك ابن الأثير قائلاً: «الإحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات البِدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها»[(١)].

قال الكفوي: الإحتساب: هو طلب الأجر من الله تعالى بالصبر على البلاء مُطمئنةً نفس المحتسب غير كارهةٍ لما نزل بها من البلاء[(٢)].

❁ ومن التعريفيين السابقين، يكون الإحتساب ثلاثة أنواع هي:

١) احتساب الأجر من الله تعالى عند الصبر على المكاره، وخاصة فقد الأبناء إذا كانوا كباراً.

٢) احتساب الأجر من الله تعالى عند عمل الطاعات يُبتغى به وجهه الكريم كما في صوم رمضان إيماناً واحتساباً، وكذا في سائر الطاعات.

---

(١) في النهاية لأبن الأثير (١/ ٣٨٢)

(٢) الكليات للكفوي (ص٥٧)

٣) احتساب المولى عَزَّوَجَلَّ ناصراً ومعينًا للعبد عند تعرضه لأنواع الابتلاء من نحو منع عطاء أو خوف وقوع ضرر، ومعنى الإحتساب في هذا النوع الثالث الاكتفاء بالمولى عَزَّوَجَلَّ ناصراً ومعينًا والرضا بما قسمه للعبد إن قليلاً وإن كثيراً. أم بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها».

الإحتساب مهم جداً لأنه سوف يميز عباداتك عن عاداتك...

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولابد أيضا أن يميز العادة عن العبادة، فمثلا الإغتسال يقع نظافة أو تبردا، ويقع عن الحدث الأكبر، وعن غسل الميت، وللجمعة ونحوها، فلا بد أن ينوي فيه رفع الحدث أو ذلك الغسل المستحب... فالعبرة في ذلك كله على النية»[١].

أنت بحاجة ماسة كذلك إلى احتساب النية الصالحة لأن جميع الأعمال مربوطة بالنية قبولا وردا وثوابا وعقابا، ويدل لذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[٢].

---

(١) ينظر شرح جوامع الأخبار، لابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) الأعمال بالنيات رواه البخاري(١) ومسلم(١٩٠٧)

الإحتساب

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فمن استشعر هذه المعاني سعى في استحضار نية التقرب لله عَزَّوَجَلَّ في جميع شؤون حياته، فإذا نام احتسب نومه لله عَزَّوَجَلَّ كي يستعين براحة جسمه على العبادة حين يستيقظ، وإذا أكل أو شرب قصد بذلك التقوى للقيام بحقوق الله، وإذا تزوج أراد أعفاف نفسه والاشتغال بالحلال عن الحرام، وإذا طلب الذرية قصد الذرية الصالحة التي تعمر الأرض بمنهج الله. إذا تكلم فبالخير، وإذا سكت فإمساكا عن الشر، يرجو بنفقته على نفسه وأهله الأجر والثواب أيضا..، وهكذا كون مقاصده في أعماله كلها.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكمّل من الناس هم الذين تذكروا حتى صارت عاداتهم عبادات(١).

(١) «شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٩٤)»

الإحتساب يدر عليك الحسنات من حيث لا تشعر ويضاعف لك العمل وأنت تؤجر، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس احتسبوا أعمالكم، فإن من احتسب عمله، كتب له أجر عمله وأجر حسبته»[(١)].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «للأسف يفوت علينا أشياء كثيرة بسبب الغفلة عن النية. وإلا فلو استحضرنا النية، كانت كل حركاتنا وسكناتنا عبادة نثاب عليها»[(٢)].

إنَّ من أهم ما يُعين العبد المسلم أيها الأخوة والأخوات على اجتناب الذنوب والمحرمات، والمبادرة دوما لفعل الطاعات من الواجبات والمستحبات، والمسارعة في كل الأوقات للتزود من الخيرات، هو احتساب ما يقوم به من عمل عند رب الأرض السماوات.

فاحتسب أعمالك اليومية كفعل الطاعات، والصبر على المكروهات، والحركات والسكنات، ليحسب ذلك من عملك الصالح..

---

(١) لسان العرب (١/ ٣١٥)

(٢) (شرح عقيدة أهل السنة والجماعة)

بالإحتساب تحافظ على نشاط عبادتك فأن نفسك إذا شعرت بالثواب العاجل جدت واجتهدت في العمل فكيف إذا كان الثواب عند الله أعظم وأعظم شيء في العاجل وكثير هي الآجل إنك ترى الناس في أعمال الدنيا يتفانون في إتقانها ابتغاء الأجور والمكاسب وكلما كثر الراتب كثر العمل وأهل التجارات يصفون الدعايات وتجد على الشعارات بادر لاتدع الفرصة تفوتك. . لماذا ؟. لأن النفس تسعى حين يبذل لها المقابل وإذا كان أهل الدنيا ينشطون بالمحفزات.

فكيف بأهل الآخرة الذين ينشطون إلى فعل الخيرات لأجل الباقيات الصالحات وجنة عرضها السماوات فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إنها فعلاً المحفز العظيم ولذلك كان هذا شعار الصحابة رضوان الله عليهم في جهادهم ينطلقون لاستشهادهم،

وإن خبيبا: قال:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا	على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلوٍ ممزعي[1]

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب مايذكر في الذات والنعوت والأسامي

وكان الصحابة يحتسبون في النوم فروى البخاري ومسلم عن ابن أبي برده عن أبيه قال: «بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا موسى ومعاذ على اليمن فقال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا».

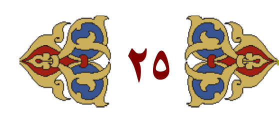
وفي الحديث.. «فانطلقا ثم تذاكرا قيام الليل فقال معاذ لأبي موسى كيف تقرأ القرآن قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي وأتفوقه تفوقًا قال: أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[١].

وهكذا كان الإحتساب في النوم لأجل الإستعانة به على قيام الليل وعلى صلاة الفجر، والأول كان يتفوقه تفوقًا فيلازم قراءته آنا الليل وآنا النهار وحينًا بعد حين من فواق الناقه وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب وهكذا فكانت راحتهم لأجل التعب وكان نومهم لأجل النصب وهكذا كانوا يحتسبون العبادة بكل ما فيها من نوم وصلاة.

أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي إنه الإحتساب وهو شعار العابدين إنه الإحتساب الذي يجعل النفس تنشط للعبادة إنه الإحتساب الذي يعطي كل اليوم وكل الأعمال معنى العبودية قال

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٤٢



تعالى : ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

الإحتساب ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

الإحتساب ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾.

الإحتساب ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾.

سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هل يشترط للثواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله ، أو يحصل له الأجر وان لم يحتسب؟**

نقل أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا - ولم يقل إيمانا فقط، بل قال إيمانا واحتسابا -غفر له ما تقدم من ذنبه». واحتساب الأجر له اثر عظيم على إحسان العمل، أليس كذلك؟ أما إذا شعرت بأنك أديت العمل برئت ذمتك فقط، وانك لن تعاقب على تركه ، فعملك ناقص .

لهذا أحث نفسي وإياكم على استحضار هذا المعنى؛ انك إذا عملت العمل تحتسب أجرة على الله، نقول مثالا :قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أسبغ الوضوء وقال:اشهد أن لا اله إلا الله،

واشهد أن محمد عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وزاد الترمذي: «**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**» أريد من نفسي وإياكم أن نستحضر إننا إذا فعلنا ذلك فتحت لنا أبواب الجنة حتى نحرص على إسباغ الوضوء، ونحرص على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء. فهذه مسالة ينبغي أن نتفطن لها ، **وهي**: احتساب الأجر من الله على هذا العمل[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يينبغي ألا يفعل من المباحات إلا مايستعين به على الطاعة، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة[٢].

وهكذا سائر الأمور المباحة، لايؤجر عليها صاحبها إلا إذا احتسبها لتحقيق مقصد من مقاصد الخير والفضل والأجر.

قال ابن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المباح ينتقل بالنية إلى الندب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن خواص المقربين هم الذين انقلبت

---

(١) لقاء الباب المفتوح (٦٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦١/ ٤٦٠/ ١٠)

المباحات في حقهم إلى طاعات وقربات بالنية، فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين، بل اعمالهم راجحة[١].

وقد صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه قال لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**انك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعل في فَيِ امرأتك**»[٢].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معلقاً على الحديث: «وفيه إن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويثاب عليه، وقد نبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك»، لان زوجة الإنسان هي من اخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند ألملاعبه والملاطفة والتلذذ المباح ، فهذه الحالة ابعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة ، ومع هذا فاخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحاجة أولى بحصول الأجر أذا أراد وجه الله تعالى.

---

(١) مدارج السالكين (١٠٧/١)
(٢) رواه البخاري (٥٦)

ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئا أصله على الإباحه وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوِي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة ليقوم إلى العبادة نشيطا، والاستمتاع بزوجته ليكف نفسه وبصرة ونحوهما عن الحرام، وليقضي حقها، وليحصل ولدا صالحا، وهذا معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وفي بضع أحدكم صدقة**» والله اعلم[١].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام، وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾. على نيته، نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولكن جهاد ونية**»[٢].

ولا ننسى كذلك أجر احتساب النية الصالحة الذي لايضيعه الله أبدا، حتى وان لم تتمكن من أداء العمل الصالح الذي تنوي القيام به.

---

(١) شرح مسلم(٧٧/ ١١)
(٢) (صحيح البخاري (٢٩/ ١) كتاب الإيمان)

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعليقاً على قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»**، فالمتمني للخير الحريص عليه إن كان من عادته أنه كان يعمله ولكنه حبسه عنه حابس كتب له أجره كاملاً.

فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد ولكنه حبسه حابس كنوم أو مرض أو ما أشبهه فإنه يكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص. **انتهى**[١]

فتذكير النفس باحتساب الأجر والثواب عند العزيز الوهاب أيها الأحباب لهو من أهم الأسباب التي تعين على الحرص على فعل الخيرات وكل ما هو صواب.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الإحتساب»[٢].

---

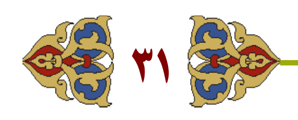
(١) (شرح رياض الصالحين ص ٣٦)

(٢) في الرسالة التبوكية (ص ١٠)

والإحتساب يميز العادة عن العبادة، فالعبرة في ذلك كله على النية، أنت بحاجه ماسه إلى احتساب النية الصالحة لان جميع الأعمال مربوطة بالنية، ويدل لذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى»، التقرب إلى الله تعالى بجمع اكبر قدر ممكن من الحسنات عن طريق محاولة احتساب أجور الأعمال، في حياتك اليومية، وقد يفتح الله عليك ويوفقك لاحتساب أمور أخرى، قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

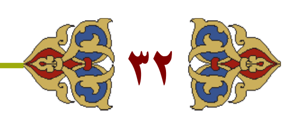
أكثر الناس يفعلون الواجبات طبعًا وعادةً لا يبتغون به وجه الله تعالى، فمن فعلها ابتغاءَ وجه الله كان عليها من الأجر أعظمُ من أجر المُتَصَدِّقِ نافلةً.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما جعله الله - سبحانه - في الإنسان من المحبة والبغضة لما يستعين به على المحبة المقصودة لنفسها، وهي عبادة الله وحده، مثل محبة الأكل والشرب والنكاح وبُغْضِ المُؤْذِيَات إنْ فَعَلَهُ بنية الاستعانة على ما خُلِقَ له كان داخلاً في عبادته، وكان له عليه الأجر، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص: «إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها



وجه الله إلا ازددتَ بها درجةً ورفعةً، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك»، وقال: «نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة»؛ بل نفقة المرء على نفسه وعياله أفضل من نفقته على من لا تلزمه. نفقته، لأن ذلك واجبٌ، وما تقرب العبادُ إلى الله بمثل أداء ما افترض عليهم، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّعَ مَنْ يقوت»، وقال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» ... وكل هذه الأحاديث في الصحاح، وقال: «دينار تنفقه في سبيل الله، ودينار تعطيه لمسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»، وهذا حديث ثابت أيضًا .

ولكن أكثر الناس يفعلون ذلك طبعًا وعادةً لا يبتغون به وجه الله تعالى، كما يفعلون في قضاء الديون من أثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق؛ وهذه كلها واجبات، فمن فعلها ابتغاءَ وجه الله كان عليها من الأجر أعظمُ من أجر المُتَصَدِّقِ نافلةً؛ لكن يتصدقُ أحدهم بالشيء اليسير على المسكين وابن السبيل ونحو ذلك لوجه الله - تعالى -، فيجدُ طعمَ الإيمان والعبادةِ لله، ويعطي في هذه ألوفًا فلا يجد في ذلك طعمَ الإيمانِ والعبادة، لأنه لم ينفقه ابتغاء وجهِ الله؛ فمن هذا الوجه صارَ في عُرْفِهِم أن هذه النفقات التي لا بُدَّ منها ليست



عبادةً، وقد لا يستشعرون إيجاب الشارعِ لها، وإنما يستشعر أحدهم ما في تركه من المضرة العاجلة(١).

وكما أن النية أمرها سهل، فالإحتساب كذلك ليس من الأمور الصعبة، فأي عمل عمله العبد مريدا لإمتثال أمر الله تعالى فهو يعتبر محتسبا، فقد جاء في الحديث: لا أجر لمن لا حسبة له. رواه البيهقي، وحسنه الألباني.

قال المناوي في شرح الحديث: أي لا أجر لمن لم يقصد بعمله امتثال أمره تعالى والتقرب به إليه. انتهى.

وإذا عمل الإنسان ما فيه إحسان إلى الخلق أو دعاء لهم فهو مأجور على كل، ولكن ابتغاء رضوان الله تعالى في ذلك العمل ينال به عظيم الأجر.

فقد جاء في جامع العلوم والحكم لابن رجب: وقوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤]، فنفى الخير عن كثير

---

(١) في جواب الإعتراضات المصرية (ص ٩٤)

مما يتناجى به الناس إلا في الأمر بالمعروف، وخص من أفراده الصدقة والإصلاح بين الناس، لعموم نفعها فدل ذلك على أن التناجي بذلك خير، وأما الثواب عليه من الله، فخصه بمن فعله ابتغاء مرضات الله، وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيرا، وإن لم يبتغ به وجه الله، لما يترتب على ذلك من النفع المتعدي، فيحصل به للناس إحسان وخير، وأما بالنسبة إلى الآمر، فإن قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته، كان خيرا له وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيرا له، ولا ثواب له عليه، وهذا بخلاف من صام وصلى وذكر الله يقصد بذلك عرض الدنيا، فإنه لا خير له فيه بالكلية، لأنه لا نفع في ذلك لصاحبه، لما يترتب عليه من الإثم فيه، ولا لغيره لأنه لا يتعدى نفعه إلى أحد، اللهم إلا أن يحصل لأحد به اقتداء في ذلك. وروى ابن أبي الدنيا بإسناد منقطع، عن عمر قال: لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له ـ يعني: لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عَزَّوَجَلَّ[1].

---

(١) (تفسير ابن رجب الحنبلي تفسير سورة النساء ص٣٥٨)

الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع بمعونة الله عَزَّوَجَلَّ أن يقلب عاداته عبادات.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾. والله لو تأمل الإنسان هذه الآية لتعظ كثيراً، ما خلق إلا للعبادة، عبادة الله ليش وجودك في الدنيا؟ لتعمر الدنيا، لتبني القصور، لتركب السيارات الفخمة، لترفه جسدك، خلقت للعبادة، ومن خلق للعبادة ينبغي أن يجعل عمله كله عبادة؛ ولهذا كان الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، تجد الموفق وأسأل الله أن يجعلنا ومن سمع منهم، تجده إن أكل يأكل امتثالاً لأمر الله؛ لأن الله أمر كلوا واشربوا ويقصد بالأكل حفظ بدنه، وهو مأمور بحفظ بدنه، إن أكل يريد الاستعانة به على طاعة الله، فلو أكل الآن الذي يتلذذ به أكلاً وشربـاً، يكون طعامه الذي يتلذذ به أكلاً وشربـاً يكون عبادة، إن لبس ينوي بذلك ستر عورته وسوأته عن الناس، ثم يتذكر بهذا أنه كما يحب أن يستر عورته الحسية عن الناس، فليستر عورته المعنوية بالتوبة إلى الله؛ ولهذا لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾، وهذا اللباس الضروري:

﴿وَرِيشًا﴾، وهذا لباس الإيمان قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾، لباس التقوى ذلك خير، فإذا نوى واستحضر بقلبه عند اللباس، هذا المعنى صار اللباس عبادة، وهكذا العادات يستطيع المؤمن الموفق الكيس أن يجعل من عاداته عبادات، والغافل عباداته عادات، اعتاد إنه إذا أذن في المسجد يصلي، واعتاد أنه إذا جاء رمضان صام، واعتاد أنه إذا جاء وقت الزكاة تصدق، وهو في غفلة، ولهذا النية لها مدخل عظيم في العبادات، فمثلاً أكثر الناس إذا جاء وقت الصلاة، أو أراد أن يصلي نافلة، قام وتوضأ وصلى، **لكن هل منا من يستحضر إذا كان يصلي يمتثل أمر الله في قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

هل يستحضر أنه يطبق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾، عند غسل وجهه. الذي يظهر لنا أن نستحضر هذا، ونخلص لله عَزَّوَجَلَّ ونقول: أغسل وجهي امتثالاً لأمر الله، أغسل يدي امتثالاً لأمر الله، أمسح رأسي امتثالاً لأمر الله، أغسل رجلي امتثالاً لأمر الله، ثم يستحضر أيضـاً معنـاً آخر، أنني أفعل هذا اتباعـاً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكأني أشاهد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يتوضأ على هذه الكيفية، حين إذن نحقق في هذا

الاستحضار الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع بمعونة الله عَزَّوَجَلَّ **أن يقلب عاداته عبادات،** وأن يكمل عباداته باستحضار هذه النيات، ويكون حقق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. أسأل الله تعالى أن يمن علي وعليكم وعلى من سمع، بهذه النية الطيبة انتهى[١].

عن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة»**[٢]. فنفقة الرجل على زوجته وأولاده واجب شرعي، ولا يثاب عليها إلا إن قصد الإحتساب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفاد منطوقه أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة سواء كانت واجبة أو مباحة، وأفاد مفهومه أن من لم يقصد القربة لم يؤجر، لكن تبرأ ذمته من النفقة الواجبة[٣].

---

(١) في فتاوى نور على الدرب الشريط رقم [٣٤٤]
(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (١٠٠٢)
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٣٦)

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويستفاد منه أن الأجر لا يحصل بالعمل إلا مقرونا بالنية[١].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما ملخصه**: الإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر على ذلك بحسب قصده، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة، بل هي أفضل من صدقة التطوع[٢].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يحتسبها) معناه: أراد بها وجه الله تعالى، فلا يدخل فيه من أنفقها ذاهلا (أي غفل عن النية، ولم ينو الإحتساب)، ولكن يدخل المحتسب. وطريقه في الإحتساب أن ينفق بنية أداء ما أمر به من النفقة والإحسان[٣].

إن حرصك على احتساب الأجر في جميع أمورك سوف يجعلك في عبادة مستمرة لا تنقطع فتكون - بإذن الله - قد قمت بما خلقك الله له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

(١) «فتح الباري»

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٤٩٨)

(٣) شرح مسلم (٨٨/ ٧، ٨٩) بإختصار وتصرف.

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مختصر منهاج القاصدين: قال بعض السلف: «إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية، وحتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات الدين، فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة، ومن النكاح تحصين دينه، وتطييب قلب أهله، والتوصل إلى ولد يعبد الله بعده، أثيب على ذلك كله»[(١)].

ويا أيها المنفق على أهله، اعلم كذلك - كتب الله أجرك- إذا أردت الثواب من المنان عليك أن تستحضر أن ما تقوم به هو عبادة للرحمن، فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ على أَهْلِهِ نَفَقَةً وهو يَحْتَسِبُهَا كانت له صَدَقَةً**»[(٢)].

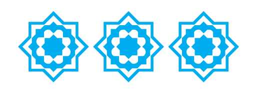
يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى (يحتسبها): ينوي بها طاعة الله، ويرجو ثوابها منه، فبذلك تجري نفقته مجرى الصدقة»[(٣)].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي٢٠٣.
(٢) رواه البخاري (٥٠٣٦) ومسلم (١٠٠٢) واللفظ له.
(٣) كشف المشكل (٢/ ١٩٧)

ولنستحضر حتى عند نومتنا وراحتنا نية التقوي بذلك على عبادة الله جَلَّ وَعَلَا كما كان يفعل أصحاب نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»(١).

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني أنه ينوي بنومه التقوى على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه»(٢).



(١) رواه البخاري (٤٠٨٦)

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٢٩٥)

الإحتساب عند المصائب

ويا من فَقد في هذه الدنيا الفانية قريبا أو حبيبا له، اعلم كذلك – صبرك العليم القدير – أنك إذا أردت أن تنال الأجر الكبير والخير الكثير عند العليم الخبير فعليك بالصبر على ما نزل بك والإحتساب، وإياك أن تجزع من هذا المصاب! لأن هذا منافي لما حثك عليه العزيز الوهاب وهو مانع من تحصيل الأجر و الثواب، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقول الله تَعَالَى: ما لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ من أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الْجَنَّةُ**»(١).

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «– أي – صبر على فقد صفية وابتغى الأجر من الله تعالى، والإحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصاً، واحتسب بكذا أجراً عند الله أي: نوى به وجه الله»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الإحتساب عند وقوع المصائب: إن المصائب إذا قابلها الإنسان بالصبر دون احتساب

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٠)
(٢) عمدة القاري (٢٣ / ٣٨)

الأجر صارت كفارة لذنوبه وإن صبر مع احتساب الأجر صارت بالإضافة إلى تكفير الذنوب أجرا وثوابا ومعنى الإحتساب أن يعتقد في نفسه أن هذا الصبر سوف يثاب عليه فيحسن الظن بالله فيعطيه الله عَزَّوَجَلَّ ما ظنه به[١].

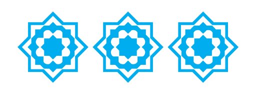
وقال: وليعلم المصاب بأي مصيبة إن هذه المصائب كفارات لما حصل منه من الذنوب؛فانه لايصيب المرء المؤمن هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله عنه به حتى الشوكة يشاكها ، ومع الصبر والإحتساب ينال منزلة الصابرين تلك المنزلة العالية التي قال الله تعالى في أهلها ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥][٢].

وقد روى الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في كتاب الثقات وهو الإمام الكبير العلم أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد وكان من الرواة عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويروي هذه القصة عبدالله بن محمد. قال: خرجت مرابطاً في عريش مصر، فبينما أنا أمشي إذ مررت بخيمة وسمعت رجلاً يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ

(١) (التعليق على صحيح مسلم / ص٣٤٢)
(٢) في (مجموع فتاوى (١٧/ ٦١)

نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ [النمل:١٩] قال: فنظرت إلى هذا الرجل الذي يدعو فإذا هو معاق، وقد فقد يديه ورجليه، وفقد بصره، وثقل سمعه، فجئته وقلت له: يا عبد الله! إني سمعتك تقول كذا وكذا، فعلى أي شيء تحمد الله؟! فقال له: يا عبد الله! والله لو أرسل الله الجبال فدمرتني، والبحار فأغرقتني، ما وفيت نعمة ربي على هذا اللسان الذاكر، ثم قال له: لقد فقدت ابني منذ ثلاثة أيام، فهل تلتمسه لي؟ وكان ابنه هذا يوضئه ويطعمه، فقلت له: والله ما سعى أحد في حاجة أحد أفضل من حاجتك. قال: فتركته وخرجت أبحث عن الغلام، فما مشيت قليلاً إلا وأبصرت عظمه بين كثبان من الرمل، وإذا بسبع قد افترسه، قال: فوقفت وقلت: كيف أرجع إلى صاحبي وماذا أقول له؟! وجعلت أتذكر، قال: فتذكرت أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلما رجعت إليه سلمت عليه، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: فماذا فعل ولدي؟ قلت: هل تذكر أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ قال: نعم. قلت: ماذا فعل الله به؟ قال: ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه وفي ماله، قال: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً، قال: ولم يكن ذلك فقط، إنما انفض عنه القريب والبعيد، ورفضه القريب والبعيد،

قلت: وكيف وجده؟ قال: وجده صابراً، يا عبد الله! ماذا تريد؟ فقال له: احتسب ولدك، فإني وجدت سبعًا افترسه بين كثبان الرمل، قال: الحمد لله الذي لم يخلق مني ذرية إلى النار، وشهق شهقة فخرجت روحه فيها، قال عبد الله بن محمد: فقعدت حائراً ماذا أفعل، لو تركته لأكلته السباع، ولو ظللت بجانبه ما استطعت أن أفعل له شيئًا. قال: فبينما أنا كذلك إذا هجم علي جماعة من قطاع الطرق، فقالوا: ما حكايتك؟ فحكيت لهم الحكاية، قالوا: اكشف لنا عن وجهه، فكشفت عن وجهه فانكبوا عليه يقبلونه وهم يقولون: بأبي عينًا طالما غضت عن محارم الله، وبأبي جسمًا كان على البلاء صابراً، قال: فغسلناه وكفناه ودفناه، ثم رجعت إلى رباطي. قال: فنمت فرأيته في منامي صحيحًا معافى، فقلت له: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة وقال لي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد:٢٤]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد:٢٨][1].

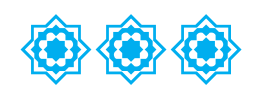


(١) (كتاب الثقات لابن حبان رقم الحديث ١٧٠)

وقت الإحتساب

على أن بعض أهل العلم يرى أن الإنسان إذا نوى الإحتساب في أول يومه تكفيه تلك النية سائر اليوم عن كل الأعمال غير المتمحضة للعبادة، ولو لم يستحضر النية عند أدائها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا شك أن تذكر النية عند العمل، ومصاحبتها للعمل أفضل بلا شك بكثير، والإنسان إذا عود نفسه على هذا سهل عليه، ولكن إذا لم تكن هذه الحال العليا، فعلى الأقل الحال الدنيا، يعني الإنسان كلما أصبح ينوي نية صالحة بأنه لن يعمل عملاً إلا لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، سواءً كان دينيًا، أو دنيويًا، وأرجو أن يكون ذلك كافيًا، وتكون النية هنا مستصحبة حكمًا، لا ذكرًا، لكن استصحابها لها ذكر أفضل». **انتهى**[١].



(١) جاء في فتاوى لقاء الباب المفتوح (٨٠)

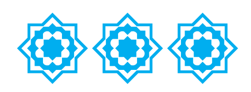
كيف يمكن أن ينوي المسلم حياته وأعماله كلها لله

هذا هو باختصار بيان كيف يمكن أن ينوي المسلم حياته وأعماله كلها لله، ويمكن أن نُجمِلَ ذلك بأمرين اثنين:

١) **أن يلتزم في أعماله الشريعة،** فلا يترك واجبًا، ولا يقع في محذور.

٢) **أن يلحظ في قلبه كيف يمكن أن يوصله هذا العمل** – ولو كان في أصله دنيويًا – إلى الأجر والثواب والقربة من الله تعالى.

وهكذا سائر الأمور المباحة، لا يؤجر عليها صاحبها إلا إذا احتسبها لتحقيق مقصد من مقاصد الخير والفضل والأجر.



كمال النية

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن كمال استحضار النية في جميع العبادات :

وينبغي أن يستحضر المسلم النية في جميع العبادات، فينوي مثلا الوضوء وانه توضى لله، وانه توضى امتثالا لأمر الله. **فهذه ثلاثة أشياء:**

١) نية العبادة.

٢) ونية أن تكون لله.

٣) ونية انه قام بها امتثالا لأمر الله .

هذا أكمل شي في النية ، (كذلك في الصلاة وفي كل العبادات) .

النية تكون كاملة بثلاثة أشياء :

* **نية العبادة**، مثال: تنوي الصلاة وأنها الظهر أو العصر أو ما أشبه ذلك .

* **نية أن تكون لله**، بمعنى أنك إنما تصلي لله عَزَّوَجَلَّ لا لغيره، لا تصلي رياءً ولا سمعة ولا لتمدح على صلاتك .

* **نية أن تقوم بها امتثالاً لأمر الله**، بمعنى تستحضر أنك تصلي امتثالاً لأمر ربك حيث قال ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

الحث على استشعار العبادة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أودّ أن أذكّر نفسي وإيّاكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضّأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس، ويحصل به المقصود، لكنْ هناك شيء أعلى وأتم:

أولاً: إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممتثل لأمر الله في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:الآية ٦]، حتى يتحقق لك معنى العبادة .

ثانيًا: إذا توضأت استشعر أنك متبع رسول الله، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» أخرج البخاري ومسلم

(١) في (شرح رياض الصالحين ١/ ٢٧)

حينئذٍ يكون الإخلاص والمتابعة .

ثالثًا: احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء، لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا البقية .

هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها، كذلك إذا أردت أن تصلي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ثم استشعر أنك تابع لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حيث قال: «صَلوا كَمَا رَأَيتُموني أُصَلي» أخرجه البخاري ثم احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى وهلم جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه - لانصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن مَنْ مِنَ الناس إذا صلى تغير فكره ونهته صلاته عن الفحشاء والمنكر ؟! اللهم إلا قليل، لأن المعاني المقصودة مفقودة[١] .

---

(١) (شرح الأربعين النووية / ص٢٥٢-٢٥٤)

الإخلاص في العمل

يجب إخلاص العمل في العبادة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في فتاوى نور على الدرب: أن العبادة لا يراد بها إلا وجه الله والدار الآخرة لا يراد بها الدنيا، يعني لا يصلي الإنسان لأجل أن ينجح، ويقال: ما أقومه للصلاة، ما أكثر صلاته وما أشبه ذلك، بحيث يجعل عمله خالصاً لله عَزَّوَجَلَّ، يريد به الثواب من عنده، بعض الناس ربما يجتهد في العبادة؛ ليقال: إن فلانـًا كثير الصلاة، إن فلانـًا كثير العمرة، إن فلانـًا كثير الحج، إن فلانـًا كثير الصدقات، وهذا يخل الإخلاص؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ينبغي للإنسان أن يحسن النية في العبادات، فيطلبه ابتغاء مرضاة الله تعالى.

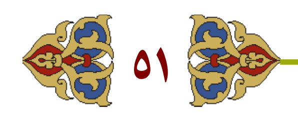
قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أود أن أنبه على أن بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد دنيوية؛ فمثلا يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض

ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، ولذلك بين الله تعالى في كتابه حكمة الصوم - مثلا أنه سبب للتقوى، فالفوائد الدينية هي الأصل، والدنيوية ثانوية، وعندما نتكلم عند عامة الناس فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند ممن لا يقتنع إلا بشيء مادي فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية ولكل مقام مقال .«**انتهى من كتاب العلم**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من عمل صالحا التماس الدنيا ، صوما أو صلاة أو تهجد بالليل، لايعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله : أوفيه الذي التمس من الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين[١].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم وليتعود الإخلاص، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»[٢].

(١) في تفسير ابن كثير (٣١٠-٣١١/ ٤)
(٢) تفسير السعدي (ص٢٠٢)



تعدد النية

النية تبارك الأعمال أيها الإخوة: إن النية والإحتساب هي التي يبارك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **بها العمل ويزكيه وينميه؛** فيجعل بها القليل كثيراً، واليسير خطيراً، وما دخل أهل الجنة الجنة بكبير عمل عملوه، ولا بعظيم جهد بذلوه، أكثر من كونهم محتسبين مخلصين، فيما يأخذون وفيما يَدَعون، وكأن أحدهم يقول: إنما أريد ما أريد، أن أعمل ما أعمل احتساباً لوجه الله، وأترك ما أترك احتساباً لوجه الله.

إذاً: **فصلاح النية، وحُسن القصد، وظهور الإحتساب عند العبد،** هو من أعظم أسباب القرب، وأكبر الأشياء التي يتضرع بها العبد إلى دخول الجنة.

وهذا الإحتساب المطلوب ليس خاصاً في الصيام، بل هو عام في كل عمل، حتى الأعمال الدنيوية العادية البحتة إذا دخلها الإحتساب كان هذا سراً أو (إكسيراً) -كما يقولون- يضاف إليها فيحولها إلى قُرُبات وطاعات وأعمال صالحة.

يتعدد الأجر بتعدد النية في العمل الواحد، فإذا دخل المسلم المسجد متوضئا، فصلى ركعتين ينوي بهما سنة الفجر، وسنة الوضوء، وسنة تحية المسجد، حصل له أجر ما نوى، والله ذو الفضل العظيم .

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا توضأ الإنسان صلى ركعتين ينويهما سنة الوضوء، وإذا دخل المسجد بعد الوضوء صلى ركعتين ينويهما سنة التحية وسنة الوضوء، يحصل له الأجر، أجر سنة الوضوء وأجر تحية المسجد والحمد لله، فضل الله واسع، وإذا صلاها بنية راتبة الظهر، توضأ ودخل المسجد ونوى سنة الظهر وسنة الوضوء وتحية المسجد حصل له ذلك، والحمد لله» **انتهى**[١] .

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّاعَاتُ .. مُرْتَبِطَةٌ بِالنِّيَّاتِ فِي أَصْلِ صِحَّتِهَا، وَفِي تَضَاعُفِ فَضْلِهَا.

أَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَى لَا غَيْرُ، فَإِنْ نَوَى الرِّيَاءَ صَارَتْ مَعْصِيَةً .

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٥٧/ ١١)

وَأَمَّا تَضَاعُفُ الْفَضْلِ فَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ الْوَاحِدَةَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، فَيَكُونُ لَهُ بِكُلِّ نِيَّةٍ ثَوَابٌ إِذْ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر.

وَمِثَالُهُ: الْقُعُودُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّهُ طَاعَةٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يَنْوِيَ فِيهِ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً حَتَّى يَصِيرَ من فضائل أعمال المتقين، ويبلغ به درجات المقربين.

أَوَّلُهَا: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ بَيْتُ اللهِ، وَأَنَّ داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قال: «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره».

وثانيها: أَنْ يَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ .

وثالثها: التَّرَهُّبُ بِكَفِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْأَعْضَاءِ عَنِ الْحَرَكَاتِ والترددات، فإن الاعتكاف كف، وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب.

ورابعها: عُكُوفُ الْهَمِّ عَلَى اللهِ، وَلُزُومُ السِّرِّ لِلْفِكْرِ فِي الْآخِرَةِ،

وَدَفْعُ الشَّوَاغِلِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ بِالِاعْتِزَالِ إلى المسجد .

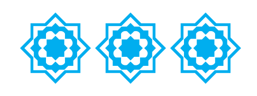
وخامسها: **التَّجَرُّدُ لِذِكْرِ اللهِ أَوْ لِاسْتِمَاعِ ذِكْرِهِ وَلِلتَّذَكُّرِ به .**

وسادسها: **أَنْ يَقْصِدَ إِفَادَةَ الْعِلْمِ بِأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ،** إِذِ الْمَسْجِدُ لَا يَخْلُو عَمَّنْ يسيء في صلاته أو يتعاطى مالا يَحِلُّ لَهُ .

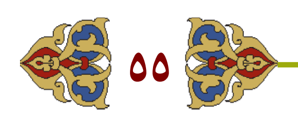
وسابعها: **أَنْ يَسْتَفِيدَ أَخًا فِي اللهِ .**

وثامنها: **أَنْ يَتْرُكَ الذُّنُوبَ حَيَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَى،** وَحَيَاءً مِنْ أَنْ يَتَعَاطَى فِي بَيْتِ اللهِ ما يقتضي هتك الحرمة .

فَهَذَا طَرِيقُ تَكْثِيرِ النِّيَّاتِ، وَقِسْ بِهِ سَائِرَ الطاعات والمباحات، (إِذْ مَا مِنْ طَاعَةٍ إِلَّا وَتَحْتَمِلُ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً)، وَإِنَّمَا تَحْضُرُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِقَدْرِ جدِّهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ، وَتَشَمُّرِهِ لَهُ، وتفكره فيه، فبهذا تزكوا الْأَعْمَالُ وَتَتَضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ» انتهى[1].



(١) في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٠-٣٧١)



تحقيق الغاية التي خلقنا من أجلها

وقد بين لنا ربنا أن الغاية العظمى والهدف الأسمى من خلق الجن والإنس هو أن يعبدوه وحده لا شريك له فقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

فكيف نحقق هذه الغاية ونصل إلى هذا الهدف؟ كثير من الناس يظن أن العبادة لا تعدو أن تكون مجموعة من الشعائر التعبدية التي أمر الله أن تؤدى في أوقاتها المعلومة - كالصلاة والصيام والحج، وبهذا ينتهي كل شيء -.

وليس الأمر كما يظن هؤلاء.

فكم تستغرق الشعائر التعبدية من اليوم والليلة؟

بل كم تستغرق من عمر الإنسان نفسه؟!

فأين بقية العمر إذن؟

وأين بقية الطاقة؟

وأين بقية الوقت؟

أين تنفق وأين تذهب؟

أتنفق في العبادة أم في غيرها؟

وإن كانت ستنفق في غير العبادة فكيف تتحقق غاية الوجود الإنساني التي حصرتها الآية حصراً كاملاً في عبادة الله؟ وكيف يتحقق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢].

إن العبودية قضية كلية تهيمن على حياة المسلم فهو حين يسعى في الأرض لطلب الرزق يعبد الله لأن ربه يأمره بذلك في قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥]، وهو حين ينام فهو ينام ليتقوى على عبادة الله تعالى كما قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[(١)].

أي أنه يحتسب الأجر في نومه كما يحتسب الأجر في قيامه لِلَّيل، بل إن المسلم لا يرضى إلا أن يكون تمتعه بالطعام والشراب والنكاح في ميزان حسناته كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[(٢)].

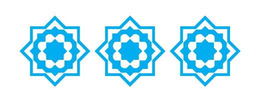
---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٤٢

(٢) أخرجه مسلم ١٠٠٦

لماذا من المهم أن نحتسب الأجر في كل شيء؟ إن حرصك على احتساب الأجر في جميع أمورك سوف يجعلك في عبادة مستمرة لا تنقطع فتكون - بإذن الله - قد قمت بما خلقك الله له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

ذكر سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ صفات المؤمنين الحميدة، فقال مُمتدحًا لهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وتأمل هذا التعبير القرآني: ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ﴾؛ بمعنى - كما قال المفسرون في هذا المقام - البيع، فهو يبيع نفسه كلها لله جَلَّ وَعَلَا، ويُسلمها كلها، لا يستبقي منها بقية، فكل حياته لله جَلَّ وَعَلَا؛ في كل لحظةٍ، وكل سكنة، وفي كل حينٍ، وفي كل تصرُّف، ولا يرجو من وراء هذا البيع لله جَلَّ وَعَلَا غايةً إلا مرضاة الله سبحانه، ليس له فيها شيء، وليس له من ورائها شيء، بيعةٌ كاملة لا تردُّد فيها، ولا تلفُّت لتحصيل ثمنٍ من أثمان الدنيا، ولا استبقاء بقيةٍ لغير الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما يبيع نفسه كلها لله سبحانه.



الحديث عن الإحتساب

لماذا الحديث عن الإحتساب؟

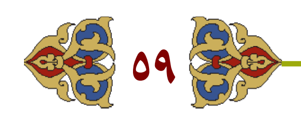
قد تزهد في العمل الصالح أحيانـًا...!

بمعنى أنك لا تجد حماسة له، ولربما كان السبب في ذلك أنك لا تعلم أهمية هذا العمل ولا الثواب المترتب عليه، أو أنك تجهل أن بعض الأعمال البسيطة قد تبلغ بك المنازل العالية فتستهين بها...!

وفي الغالب يُفسر ذلك كله بعدم وجود الإحتساب في حياتك...

فلربما لا تدري ما هو الإحتساب؟ ولا ماذا نحتسب؟.

إن الأيام لتذهب سريعـًا فلا تفاجأ بخلو صحيفتك من الأعمال التي تبتغي بها وجه الله ... أشعرت بأن هناك من يزهد جدا في العمل الصالح، بل ربما يعتبر بعض الأعمال الصالحة ضعفا ومهانة! كالعفو والحلم مثلا...! لأجل ذلك كله كان الحديث عن احتساب الأجر أمرا نحتاج إليه...



ما الأمور التي تدفعك للحرص على احتساب الأجر في أعمالك كلها؟

١) سرعة مرور الوقت وهذا يعاني منه الجميع فاستغلّ الدقائق قبل الساعات وقد قيل: (أمسك الذي مضى عن قربه، يعجز أهل الأرض عن رده).

٢) موت الفجأة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة :٨].

٣) تغير الأحوال من صحة إلى مرض ... ومن غنى إلى فقر... ومن أمن إلى خوف... ومن فراغ إلى شغل... ومن شباب إلى شيخوخة... ومن حياة إلى موت... !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِرًا، ويُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». (قالَ أبُو عيسى: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

٤) لأنك محتاج إلى أعمال كثيرة تثقل بها ميزانك، فالإنسان سرعان ما يفسد أعماله الصالحة بلسانه من كذب وغيبة ونميمة

وسخرية... وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم، فقد تأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فتجد لسانك قد هدمها عليك... فلا تكون ممن لهم النصيب الأكبر من ويلات اللسان... فما أحوجنا إلى حسنة واحدة يثقل بها الميزان...

٥) **استشعار التقصير والتفريط في جنب الله** ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر:٥٦].

٦) **الخوف من الله** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام:٥١].

إن الخوف من الله دافع قوي للعمل الصالح عموما.

٧) **الرغبة في حصول الأجر والثواب**، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت:٥٨].

٨) **أن فرصة العيش في الحياة الدنيا واحدة لا تتكرر لتعويض ما فات ...** ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر:٥٨].

ومع أنها فرصة واحدة إلا أنها تنقضي بسرعة أيضا... !، فعندما تجلس عند جدك وتقول له: احكِ لي قصة حياتك خلال الستين سنة الماضية فسيحكيها لك في ساعة أو ساعتين!... أين ذهبت تلك السنون الطوال؟!...

لا شك أن الحديث عنها سينتهي في يومين على أكثر تقدير...!

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ...﴾ [يونس:٤٥]. «أي اذكر يوم نحشرهم ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي شيئا قليلا منه، استقلوا المدة الطويلة إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم، وإما استقصروها للدهش والحيرة، وإما لطول وقوفهم في المحشر، وإما لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا وكأنها لم تكن.

وجملة ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يعرف بعضهم بعضا، وذلك عند خروجهم من القبور، ثم تنقطع التعارف بينهم لما بين أيديهم من الأمور المدهشة للعقول المذهلة للأفهام، وقيل إن هذا التعارف هو تعارف التوبيخ والتقريع، يقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني وأغويتني لا تعارف شفقة ورأفة...»[1].

---

(١) ينظر فتح القدير/ ٢

فوائد الإحتساب

هل تعلم أنك عندما تحاول احتساب الأجر في جميع أعمالك، قد حصلت لك فوائد عظيمة لا تتوفر عند من لا يهتم بالإحتساب؟!...

١) **دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.**

٢) **الفوز بالجنة والنجاة من النار.**

٣) **حصول السعادة في الدارين.**

٤) **الإحتساب في الطاعات** يجعلها خالصة لوجه الله تعالى وليس لها جزاء إلا الجنة.

٥) **الإحتساب في المكاره يضاعف أجر الصبر عليها.**

٦) **الإحتساب يبعد صاحبه عن شبهة الرياء ويزيد في ثقته بربه.**

٧) **الإحتساب في المكاره يدفع الحزن ويجلب السرور** ويحول ما يظنه الإنسان نقمة إلى نعمة.

٨) **الإحتساب في الطاعات يجعل صاحبه قرير العين مسرور الفؤاد بما يدخره عند ربه** فيتضاعف رصيده الإيماني وتقوى روحه المعنوية.

٩) **الإحتساب دليل الرضا بقضاء الله وقدره ودليل على حسن الظن بالله تعالى.**

١٠) **علامة على صلاح العبد واستقامته.**

١١) **إتباع للرسول الكريم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

١٢) **أراك دائما تحرص أن تكون محبوبًا من الناس..** وهذا شيء طيب ولكن.. ليكن طموحك أعلى.. فحب أهل الأرض وحده لا يكفي!.. كما أنه غاية صعبة المنال إلا إذا أحبك أهل السماء!!.. تقول: كيف؟.

أقول لك: عليك بالإحتساب فهو عمل صالح.. والمداومة عليه تجعل حياتك كلها طاعات.. والطاعة طريق موصل إلى محبة الله.. وإذا أحبك الله، أحبك أهل السماء ووضع لك القبول في الأرض.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»(١).

١٣) **بالإحتساب تؤدي شكر النعم،** لأن الإحتساب طاعة، ومن شكر النعم العمل بالطاعات.

والله يجازيك على شكرك للنعم بأن يزيدك من الطاعات، فيعينك عليها وييسرها لك، ويحببها إلى قلبك فتجد الأنس والمتعة في عملها، فيسهل عليك أمر الإحتساب وغيره ...

فقد قال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ قال: «أي من طاعتي»(٢).

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧)
(٢) الدار المنثور للسيوطي (٥/ ٧)

١٤) إن الذي يحتسب الأجر من الله في أعماله لا يتأذى ولا يتأثر من عدم شكر الناس لجهوده الطيبة معهم وعدم تقديرهم لما يقوم به من أجلهم، لأنه لا يرجو من الناس جزاء ولا شكورا إنما يبتغي بذلك وجه الله فهو هادئ البال مطمئن النفس حتى وإن قوبل إحسانه بالإساءة فما دام أن مبتغاه قد تحقق فلا يضيره ما وراء ذلك لأن لا مطلب له فيه أصلا.

١٥) الإحتساب في التروك - ترك المعاصي والمحرمات - طاعة تثبت قلبك وتقوي عزيمتك لأن ترك المعصية - مع قدرتك عليها - لوجه الله يجعلك تتلذذ وتسعد بتركها لأنك ترجو أجر امتثالك لأمر الله ووقوفك عند حدوده تبتغي بذلك ثواب التقوى والخوف من الله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦]، «والذي خاف ربه وقيامه عليه فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، له جنتان من ذهب، آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات والأخرى على فعل الطاعات»[1].

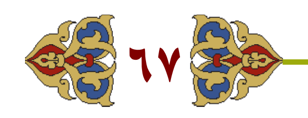
(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ ٥

١٦) **إن المحيط الصغير الذي تعيش فيه سيكتسب منك هذا الخلق الحسن - الإحتساب** - لأنهم سيشعرون به ويعايشونه واقع حيا أمامهم مما يجعل له أثرا عميقا في أنفسهم، وأقصد هنا أهلك وزوجتك وأولادك وغيرهم ممن تحتك بهم احتكاكا مباشرا ومستمرا كمحيط العمل مثلا... فتكون بذلك دعوت عمليا إلى هدى، فلك أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة بإذن الله...

١٧) **من فوائد الإحتساب التي تجنيها في الدنيا مع ما يدخر لك من الثواب في الآخرة،** أنك إذا جعلت همك رضا الله والتقرب إليه باحتساب العبادات المختلفة فإن الجزاء من جنس العمل، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **ومن كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[1].

---

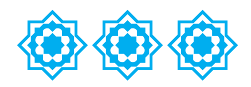
(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد ٥/ ١٨٣، صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب.



وما ظنك بمن يحتسب الأجر من الله في كل شيء أليست ممن كانت الآخرة نيته؟... وإن لم يكن هو فمن؟!إنه قلب عاش وتنفس يستشعر العبادة في جميع سكناته وحركاته يطلب ثوابها من الله فسره وشرحه من خلقه ويسر له أمر دنياه وأخراه.. فاجعل الآخرة همك.. تصبح وتمسي تفكر: كيف أرضي ربي؟ ماذا سأفعل اليوم؟...

١٨) **الإحتساب يزيدك رفعة عند خالقك،** فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص «**... إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة...**»[١].

١٩) **عندما تعتاد المداومة على احتساب العمل الصالح** فستربح مثل أجور أعمالك عندما لا يمكنك القيام بها لعذر شرعي... لا تتعجب!... فإن فضل الله واسع... قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما**»[٢].



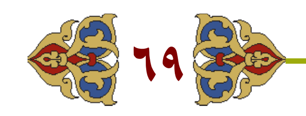
(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري (فتح الباري ١/ ١٣٦، حديث ٥٦)
(٢) رواه البخاري، فتح الباري ٦/ ١٣٦، رقم (٢٩٩٦)

فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله

فيا من تصدر لدعوة الأنام للعمل والتمسك بدين الإسلام، اعلم - ثبتك العلام- أنَّ من أهم ما يُقوي همتك ويَشد من عزيمتك بعد توفيق الباري جَلَّ وَعَلَا لك أن تحتسب هذا العمل الكريم الذي فيه خير كثير و أجر عظيم عند العزيز الرحيم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من دَعَا إلى هُدًى كان له من الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شيئا، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كان عليه من الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من آثَامِهِمْ شيئا»[1].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبر أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له مثل اجر من اهتدى به، والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم من ضل به ، لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالتهم، فنزل كل واحد منهما بمنزلة

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)



الفاعل التام»[١].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث - وما أشبهه من الأحاديث - فيه: الحث على الدعوة إلى الهدى والخير وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي، وعِظم جرم الداعي وعقوبته.

والهدى: هو العلم النافع، والعمل الصالح فكل من علم علما، أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم: فهو داع إلى الهدى .

وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله أو بحقوق الخلق العامة والخاصة: فهو داع إلى الهدى، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين: فهو داع إلى الهدى، وكل من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيره: فهو داع إلى الهدى، وكل من تقدم غيره بعمل خيري، أو مشروع عام النفع: فهو داخل في هذا النص.

وعكس ذلك كله: الداعي إلى الضلالة، فالداعون إلى الهدى:

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٢)

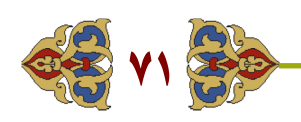
هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين والداعون إلى الضلالة: هم الأئمة الذين يدعون إلى النار، وكل من عاون غيره على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى. وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان: فهو من الداعين إلى الضلالة »[١].

وتذكر أنك إذا احتسبت إرشادك للناس إلى فعل الخيرات والحث على ملازمة الطاعات والتقرب إلى رب البريات فإن لك نفس أجر من عمل بذلك بإذن رب الأرض والسموات، فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[٢].

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء»[٣].

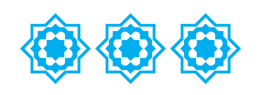
---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص ٦٢).
(٢) رواه مسلم (١٨٩٣)
(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٣/ ٣٩)



قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ، إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له»[١].

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف، وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح»[٢].



(١) رواه مسلم (١٦٣١)
(٢) الشرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٨٥)

الخاتمة

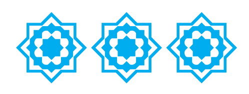
ما ذكرناه لك من نية التقرب إلى الله تعالى بما تعمله من المباحات: ليس هو على وجه الوجوب والإلزام؛ فإنه لو كان واجبًا لازمًا: لم يكن مباحًا، وإنما كان واجبًا، يأثم الإنسان بتركه.

وأما من لم يقصد شيئًا إلا تحقيق رغبته النفسية، أو قضاء شهوته، أو حاجته، أو التمتع بالمباح: فهذا لا حرج عليه فيما فعل، ما دام قد علم أن هذا الأمر مما رخص فيه الشرع وأذن فيه؛ لكن ليس له أجر بمجرد ذلك الفعل، كما أنه لا إثم عليه بمجرد فعله .

أيها الإخوة الكرام، هذه هي التجارة الرابحة، وهذه هي الصفقة النافعة التي ينبغي أن يحرص عليها المؤمن، وألا يضيع حياته في أمور الحياة الدنيا على نحو يُسخط الله جَلَّ وَعَلَا، ويجعله في نهاية الأمر في خسرانٍ مبين .

فالله الله أيها الأحبة الكرام على استحضار النية في جميع ما نقوم به من عبادات وحتى العادات لكي نؤجر على ذلك عند رب الأرض والسماوات، فهذا الذي يُعيننا دائما على فعل الطاعات و يشجعنا على الازدياد من الخيرات في كل الأوقات بإذن رب البريات .

فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وصواب، وأن يجعلنا دائما من أهل الإحتساب، وأن ييسر لنا تحقيق ما يُحبه ويرضاه، ويُجنبنا جميعا ما يُبغضه ويأباه، فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، اسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يصلح نيتي ونواياكم، وان يحفظني وإياكم من الرياء والسمعة، وان يجعلني وإياكم ممن يخلصون العمل واسأله سبحانه أن لايجعل للشيطان علينا مدخلا، وان يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .



الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة

